زينه الجسد وتأثيرها على الهويه الثقافيه لدى بعض الجماعات الافريقيه

Body adornment and its impact on cultural identity among some African groups

م.د. ايمان لطفي ابراهيم البابلي

دكتوراه عمارة داخلية – فنون جميلة – جامعة الاسكندرية – جمهورية مصر العربية

Dr. Iman Lotfy Ibrahim El-Babli

PhD in Interior Architecture - Faculty of Fine Arts - Alexandria University - Arab Republic of Egypt

emanlandscape@gmail.com

الملخص :

تُعد زينة الجسد والوشم من أبرز الممارسات الثقافية المتجذرة في المجتمعات الأفريقية، حيث لا تقتصر على الجانب الجمالي فحسب، بل تمتد لتشمل أبعادًا رمزية واجتماعية ودينية ووجودية. فالوشم في أفريقيا يُستخدم كوسيلة تعبيرية ترتبط بالمعتقدات الشعبية، وتُؤدى طقوسه في سياقات احتفالية أو انتقالية، مثل البلوغ، الزواج، أو الدخول في جماعة معينة. وتعكس هذه الممارسات علاقة الإنسان بجسده من منظور ثقافي رمزي، بحيث يتحول الجسد إلى لوحة تحمل معاني ودلالات خاصة بالمجتمع الذي ينتمي إليه الفرد.

وفي عدد من المجتمعات مثل المورسي والهيمبا والماساي، يرتبط الوشم وزينة الجسد بأدوار اجتماعية محددة، وغالبًا ما يكون وسيلة لتحديد الانتماء القبلي أو الطبقي، وأحيانًا يُستخدم لأغراض وقائية أو علاجية أو روحانية. كما تساهم هذه الممارسات في الحفاظ على الهوية الثقافية في ظل ضغوط العولمة والتحديث، حيث تعتبر بمثابة سجل جسدي للذاكرة الجمعية والتاريخ الشفهي للمجتمعات (Douglas, M. (1966 .

ومن خلال هذه الدراسة، سيتم تحليل زينة الجسد والوشم في أفريقيا باعتبارها شكلاً من أشكال التراث غير المادي، مع تتبع التغيرات التي طرأت عليها، سواء من حيث الوظيفة أو الشكل، منذ عصور ما قبل الاستعمار وحتى الوقت الراهن. وتُسلط الدراسة الضوء على كيفية تمثل هذه الممارسات للهوية والثقافة والانتماء، مع الاعتماد على النظرية الرمزية في الأنثروبولوجيا، التي تفترض أن الرموز الثقافية (مثل الوشم) ليست عشوائية بل تُعبّر عن منظومة من القيم والعلاقات الاجتماعية. أبو زيد، ف. (٢٠١٧).

كذلك، سيتم استعراض بعض النماذج القبلية والعرقية التي ما زالت تحتفظ بهذه الممارسات، إلى جانب المقارنة بين التنوع الجغرافي في أنماط الزينة والوشم وأشكالها بين شرق وغرب وجنوب القارة، مع التوقف عند تأثيرات السياق السياسي والاجتماعي في إعادة تشكيل دلالات هذه الظواهر. كما تتناول الدراسة الجانب الجندري في الممارسات، حيث تختلف الرموز المستعملة وأماكن نقشها على الجسد بين الرجال والنساء، بما يعكس الفوارق البنيوية في الأدوار الثقافية ,Turner . V. (1969).

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم فهم شامل لوظائف ومعاني زينة الجسد والوشم في أفريقيا، من خلال تحليل أنثروبولوجي يعتمد على البيانات الميدانية والدراسات السابقة، ويستند إلى النظرية الرمزية والنظرية البنائية. وتبرز أهمية هذا الموضوع في ضوء ازدياد محاولات إعادة إحياء التراث الثقافي، والحاجة إلى الحفاظ على الممارسات التقليدية التي تعبر عن هوية الشعوب وتنوعها الثقافي.(2011) .Harrison, P

الكلمات المفتاحية: زينة الجسد، الوشم الأفريقي، الأنثروبولوجيا الرمزية، الهوية الثقافية، الطقوس الانتقالية.

Abstract :

Body adornment and tattooing are deeply embedded cultural practices across African societies. Far beyond aesthetics, these practices embody symbolic, social, religious, and existential dimensions. Tattoos serve as expressive tools linked to folk beliefs and are performed within ritual contexts such as initiation, marriage, or societal integration. In these practices, the human body becomes a cultural canvas, inscribed with meanings unique to each society, expressing identity and social belonging.

In many communities like the Mursi, Himba, and Maasai, body decoration plays a role in defining tribal affiliation, social hierarchy, or gender-specific roles. In some contexts, tattoos and scarification function as protective, medicinal, or spiritual devices. These practices serve as a means of preserving cultural identity amidst modernizing forces and globalization. They act as physical archives for collective memory and oral traditions.

This study analyzes African tattooing and body adornment as intangible heritage practices, tracing their evolution in function and form from precolonial times to the present. It highlights how these practices represent identity, belonging, and culture, while employing a symbolic anthropological framework. According to this theoretical approach, cultural symbols (like tattoos) reflect broader systems of social values and relationships.

The research also examines case studies from various African regions, exploring the geographic variation in designs and their meanings, while investigating how contemporary social and political dynamics reshape traditional understandings. Gendered distinctions in body ornamentation are also addressed, with attention to the different meanings and placements of tattoos among men and women, mirroring cultural role differentiation.

Ultimately, this study seeks to provide a comprehensive anthropological analysis of African body adornment practices through fieldwork data and relevant literature. It is grounded in symbolic and structuralist anthropological theory, highlighting the urgency of safeguarding traditional body art as a key element of African cultural diversity and identity.

Keywords:Body adornment, African tattoo, symbolic anthropology, cultural identity, transitional rituals.

المقدمة:

تُعد الزينة الجسدية من أقدم أشكال التعبير الثقافي التي مارسها الإنسان منذ فجر التاريخ، إذ اتخذت أشكالًا متعددة باختلاف الثقافات والمجتمعات، من وشم ونقوش على الجلد، إلى ثقوب وزينة بالألوان والرموز. وفي القارة الأفريقية، يُعتبر الوشم أكثر من مجرد ممارسة جمالية، بل هو جزء لا يتجزأ من البنية الاجتماعية والدينية والثقافية التي تُشكّل هوية الفرد وانتماءه الجماعي. فالوشم وزينة الجسد في أفريقيا لا يُفهمان بمعزل عن الطقوس، الأساطير، المعتقدات، والأنظمة الرمزية التي تُؤطر الوجود الإنساني داخل المجتمعات التقليدية(1973) .Geertz, C .

وقد أولى علماء الأنثروبولوجيا اهتمامًا خاصًا لهذه الممارسات، نظرًا لما تحمله من دلالات ثقافية معقدة، ترتبط بالتحول الاجتماعي، والتمييز بين الفئات، وتشكيل الانتماءات، فضلًا عن دورها في التعبير عن مفاهيم الجمال والمعاناة والقوة والهوية. إنّ النظر إلى الجسد باعتباره موقعًا للتفاوض الرمزي يجعل من الوشم وسيلة لفهم الأنساق الثقافية، وإعادة قراءة

رموزها التي تتجلى على سطح الجلد. وبالتالي، فإن دراسة زينة الجسد في السياق الأفريقي تتيح فهمًا أعمق للعلاقات الاجتماعية والطقوس الانتقالية والأنظمة الرمزية القائمة. الزهراني، س. (٢٠١٨).

تأتي هذه الدراسة لتُسلّط الضوء على المعاني والدلالات الكامنة خلف ممارسات الوشم وزينة الجسد في أفريقيا، وتحاول استكشاف أبعادها الأنثروبولوجية من خلال منظور رمزي وتحليلي يستند إلى النظرية الرمزية في الأنثروبولوجيا، كما تسعى إلى الربط بين الممارسة الشعبية والمعاني الكامنة في البنية الثقافية والاجتماعية للمجتمعات المدروسة.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف البحثية التي تسعى إلى الإحاطة الشاملة بموضوع زينة الجسد والوشم في المجتمعات الأفريقية، وهي كما يلي:

1. تحليل الوظائف الثقافية والاجتماعية لزينة الجسد والوشم داخل المجتمعات الأفريقية التقليدية والحديثة.
2. فهم الرموز والدلالات المرتبطة بالوشم من منظور أنثروبولوجي، خاصة ما يتعلق بالهوية، الانتماء، والمكانة الاجتماعية.
3. استكشاف السياقات الطقسية والانتقالية التي تُمارس فيها الزينة الجسدية كالبلوغ، الزواج، والموت.
4. تحديد الفروق الجندرية في أنماط الزينة والوشم بين الرجال والنساء في الثقافات المختلفة.
5. ربط التغيرات في ممارسات الزينة بالتحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في القارة.
6. تسليط الضوء على التهديدات التي تواجه التراث الجسدي غير المادي في ظل العولمة والتغريب الثقافي.
7. توظيف النظرية الرمزية في تحليل الرموز الجسدية ضمن سياقها الثقافي والاجتماعي الخاص. ()

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هذه الدراسة في تناولها لأحد أقدم أشكال التعبير الثقافي في إفريقيا، وهو زينة الجسد، باعتبارها وسيلة بصرية تُجسّد الهوية والانتماء والمكانة الاجتماعية. كما تساهم في فهم الجسد كوسيط ثقافي يحمل دلالات رمزية، وتُسلّط الضوء على تأثير التحولات الاجتماعية والعولمة على هذه الممارسات التقليدية. وتسعى الدراسة إلى توثيق هذا التراث غير المادي المهدد بالاندثار، وتعزيز الوعي بأهمية إعادة قراءته ضمن سياقات أنثروبولوجية وثقافية حديثة.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة هذا البحث في تحليل وتحقيق كيفية حضور الزينة الجسدية والوشم في المجتمعات الإفريقية، وفهم أبعادها الرمزية والاجتماعية والطقسية، مع رصد التحولات التي طرأت عليها بفعل العولمة والحداثة. فرغم أن هذه الممارسات شكّلت عبر التاريخ وسيلة للتعبير عن الهوية والانتماء والمكانة الاجتماعية، فإنها تواجه اليوم خطر التراجع أو التحوير لصالح أنماط معولمة لا تحمل الدلالات التقليدية ذاتها. ومن هنا، تبرز الحاجة إلى إجراء دراسة تحليلية تطبيقية تجمع بين البعد النظري والبعد العملي، من خلال تتبع نماذج ميدانية (مثل: دراسة حالة لقبيلة أو تحليل محتوى بصري للوشوم والزخارف)، بما يسمح بفهم أعمق لمدى استمرار دور هذه الممارسات في التعبير عن الهوية الثقافية، وقدرة المجتمعات الإفريقية على إعادة إنتاج رمزية الزينة الجسدية ضمن سياقات التغير الثقافي المعاصر.

الاطار النظري للبحث

تستند هذه الدراسة إلى مجموعة من الأسس النظرية في الأنثروبولوجيا الرمزية ودراسات الجسد، وذلك لفهم الدور الذي يلعبه الوشم وزينة الجسد في تشكيل الهوية الثقافية والاجتماعية في المجتمعات الأفريقية. بحيث تعتمد الدراسة بشكل أساسي على النظرية الرمزية التي تركز على تفسير الرموز والطقوس من منظور اجتماعي وثقافي. ومن أهم الأطر النظرية التي سيتم توظيفها في هذه الدراسة:

1. **النظرية الرمزية:(Symbolic Interactionism)**
   - تركز هذه النظرية على كيفية استخدام الأفراد للرموز في تفاعلاتهم الاجتماعية، وكيف يُشكّل استخدام الرموز المعاني الثقافية والفكرية. بحيث يتم تفسير الوشم في هذا السياق كرمز يحمل دلالات اجتماعية وثقافية، ويُستخدم للتعبير عن الانتماء الاجتماعي والمعتقدات الدينية.
   - يرى علماء مثل جورج هربرت ميد (George Herbert Mead) أن الرموز، مثل الوشم، ليست مجرد علامات على الجسم، بل هي إشارات اجتماعية تُستخدم لتشكيل الهوية الشخصية والجماعية في سياقات معينة.
2. **نظرية الجسد:(Body Theory)**
   - تعزز هذه النظرية من الفهم أن الجسد ليس مجرد كيان بيولوجي، بل هو موقع للتفاوض الثقافي، الاجتماعي، والرمزي. وفقًا لفيكتور ترنر(Victor Turner) ، يُعتبر الجسد منصة لتجسيد الطقوس والرموز التي تعكس المفاهيم الاجتماعية والسياسية للمجتمعات. في هذه الدراسة، يُنظر إلى الوشم كجزء من التعبير الجسدي الذي يعكس التقاليد الثقافية الأفريقية.
   - يبرز الجسد كأداة حية للنقل الثقافي والاجتماعي عبر الأجيال.
3. **نظرية الفهم الأنثروبولوجي للطقوس:(Ritual Theory)**
   - تركز هذه النظرية على دور الطقوس في تشكيل الهيكل الاجتماعي والرمزي للمجتمعات. يرى فانسون ترنر (Victor Turner)أن الطقوس، بما في ذلك تلك التي تشمل الوشم، تلعب دورًا في التحولات الاجتماعية من خلال السماح للأفراد بالانتقال بين مراحل الحياة المختلفة.
   - تقدم هذه النظرية أيضًا إطارًا لفهم كيفية ارتباط الوشم بالتحولات الاجتماعية الكبرى مثل البلوغ والزواج والموت.
4. **نظرية الأنثروبولوجيا النسوية:**
   - تهتم هذه النظرية بفحص دور المرأة في مختلف الطقوس الثقافية، بما في ذلك ممارسات الوشم. تُستخدم هذه النظرية في تحليل كيفية تمثيل النساء في ممارسات الزينة الجسدية وكيف يُساهم الوشم في تشكيل مفاهيم الجندر والسلطة الاجتماعية داخل المجتمعات الأفريقية.Geertz, C. (1973).
   - وفقًا للأنثروبولوجية النسوية، يمكن للوشم أن يُعتبر وسيلة للتعبير عن مقاومة النساء للمعايير الجندرية السائدة، أو قد يُستخدم لتأكيد التقاليد النسائية في إطار ثقافي مُعين.
5. **نظرية الأنثروبولوجيا الثقافية:**
   - تُعتبر الأنثروبولوجيا الثقافية أساسية لفهم كيف تؤثر ممارسات مثل الوشم على الهوية الثقافية. وفقًا للأنثروبولوجيين مثل كليفورد غيرتز(Clifford Geertz) ، يُعد الوشم ممارسة ثقافية تعكس الشبكة المعقدة من المعاني التي يتم تلقيها من المجتمع المحلي، والتي لا يمكن فهمها خارج السياق الثقافي والاجتماعي .Scheper-Hughes, N., & Lock, M. (1987).

الإطار المفاهيمي:

يهدف الإطار المفاهيمي لهذه الدراسة إلى بناء هيكل معرفي لفهم الزينة الجسدية والوشم في سياق الثقافات الأفريقية، مع التركيز على العناصر الأساسية التي تساهم في تشكيل المعنى الاجتماعي والرمزي لهذه الممارسات. هذا الإطار يُمكّن من دراسة العلاقة بين الجسد، الرموز الثقافية، والعلاقات الاجتماعية، ويوفر الأرضية لفهم كيف أن الوشم لا يُعتبر مجرد علامة جمالية أو شكل من أشكال الزينة، بل هو وسيلة للتعبير عن الهوية الثقافية والطبقية والجندرية.

الجسد كرمز اجتماعي وثقافي:

الجسد يُعتبر من أهم الرموز في الأنثروبولوجيا الثقافية، وهو أداة لتجسيد القيم الاجتماعية والتقاليد الثقافية. في هذا الإطار، يُنظر إلى الوشم كإشارة ذات مغزى عميق يمكن أن تتغير مع مرور الوقت، وهو يُعبر عن مرحلة من مراحل الحياة أو انتقال اجتماعي (مثل البلوغ أو الزواج) .وفقًا للنظرية الرمزية، يُستخدم الجسد في العديد من الثقافات كوسيلة للتفاوض على الانتماء الاجتماعي والجماعي. العساف، م. (٢٠١٥).

الوشم كوسيلة للتعبير عن الهوية:

الوشم يرتبط ارتباطًا وثيقًا بتشكيل الهوية الشخصية والاجتماعية، ويُعد أداةً يعبر من خلالها الأفراد عن انتمائهم إلى جماعات ثقافية أو دينية. كل علامة على الجسد تحمل معنىً محددًا يخص الشخص أو الجماعة، ويُعتبر الوشم في العديد من الثقافات علامة على القوة والعضوية في مجتمع أو قبيلة معينة. كذلك، يُستخدم الوشم أحيانًا كوسيلة لتوثيق الأحداث أو المراحل الحياتية المهمة في حياة الشخص، مثل الدخول إلى سن البلوغ أو الزفاف.

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم معالجة شاملة لظاهرة زينة الجسد والوشم في المجتمعات الأفريقية، وذلك من خلال مقاربة أنثروبولوجية رمزية تسعى إلى الكشف عن الأبعاد الثقافية والاجتماعية الكامنة خلف هذه الممارسة. ويأتي في مقدمة هذه الأهداف تحليل الوظائف المتعددة التي تؤديها الزينة داخل السياقين التقليدي والحديث، ليس فقط باعتبارها شكلاً من أشكال التجميل، وإنما بوصفها وسيلة للتواصل الرمزي، وإعادة إنتاج البنى الاجتماعية والقيم الجماعية، بما يعكس مكانة الأفراد وأدوارهم في المجتمع.

كما تسعى الدراسة إلى فهم الرموز والدلالات التي يتجسد فيها الوشم باعتباره نظامًا من العلامات المشفرة، إذ يتجاوز معناه الظاهري ليغدو لغة ثقافية تعبر عن الهوية والانتماء والمكانة الاجتماعية. ومن خلال هذا المنظور، يمكن الوقوف على الكيفية التي تعكس بها هذه الرموز تمايز الأفراد والجماعات، وتجسد شرعيتهم أو سلطتهم داخل الإطار الاجتماعي.

وتركز الدراسة كذلك على استكشاف السياقات الطقسية والانتقالية التي يبرز فيها دور الزينة الجسدية، مثل طقوس البلوغ والزواج والموت، باعتبارها محطات محورية في حياة الفرد. فالوشم في هذه المناسبات يتخذ طابعًا طقوسيًا يعكس الانتقال من مرحلة عمرية إلى أخرى أو الاندماج في وضع اجتماعي جديد، وهو ما يكشف عن عمق العلاقة بين الممارسات الجسدية من جهة، والرموز الجماعية التي تضمن استمرارية الثقافة من جهة أخرى.

ويتصل بذلك الهدف المتعلق بتحديد الفروق الجندرية في أنماط الزينة والوشم بين الرجال والنساء، حيث تكشف الدراسة عن كيفية ارتباط هذه الممارسات بالبنية الجندرية التي تحدد أدوار الذكور والإناث. فبينما يُستخدم الوشم بالنسبة للرجال للتعبير عن القوة والانتماء القبلي أو العسكري، فإنه يرتبط عند النساء بمعاني الخصوبة والجمال والدور الأسري، وهو ما يبرز التوزيع الثقافي للرموز ودورها في ترسيخ الهوية الجندرية.

وفي إطار التغيرات الواسعة التي شهدتها القارة الأفريقية، تسعى الدراسة إلى ربط أنماط الزينة بالتحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بما في ذلك آثار الاستعمار، وتحديات العولمة، وأنماط الهجرة. فالزينة هنا تُقرأ بوصفها مرآة لهذه التحولات، حيث تُعيد الجماعات صياغة هويتها وممارساتها الرمزية بما يتلاءم مع الواقع الجديد.

وتكشف هذه الدراسة أيضًا عن التهديدات التي يواجهها التراث الجسدي غير المادي في ظل هيمنة الأنماط الوافدة، خاصة الوشم الحديث المرتبط بثقافة الموضة الغربية. فمن خلال هذا الهدف تسلط الدراسة الضوء على خطر تلاشي السياقات الأصلية للوشم الأفريقي، وما يعنيه ذلك من فقدان جزء أصيل من الهوية الثقافية للمجتمعات المحلية.

وأخيرًا، فإن توظيف النظرية الرمزية في تحليل هذا الموضوع يمثل الهدف النظري المركزي للبحث، حيث يُسهم في تجاوز النظرة السطحية للزينة باعتبارها مجرد زخرفة، إلى التعامل معها بوصفها خطابًا ثقافيًا متكاملًا يعكس تصورات المجتمع عن الذات والآخر والعالم. وبذلك تتضح أهمية هذه الدراسة في ربط الممارسات الجسدية بسياقها الثقافي والاجتماعي، وإبراز قدرتها على إنتاج المعنى والحفاظ على استمرارية الهوية.

الوشم والزينة الجسدية في الطقوس والانتقال الاجتماعي:

تُعتبر الطقوس الانتقالية جزءًا أساسيًا من ثقافات العديد من المجتمعات الأفريقية. يشمل ذلك طقوس الانتقال من مرحلة عمرية إلى أخرى، مثل الطقوس المرتبطة بالبلوغ والزواج أو حتى الموت. في هذا السياق، يُعد الوشم علامة على التحول، حيث يُستخدم لتحديد الحالة الاجتماعية أو مكانة الشخص في المجتمع .يُشكل الوشم جزءًا من الطقوس الثقافية التي تُحافظ على الهوية الجماعية وتعزز من وحدة المجتمع.(1970) .Arnold, D .

انواع التزيين عند النساء تزيين الشفاه بافريقيا قبائل السارا والوبو في إثيوبيا وتشاد

مثال عملي: الوشم كزينة جسد في إحدى القبائل الإفريقية

في قبيلة المورسي Mursi في إثيوبيا، نجد أن النساء يضعن أقراصًا فخارية في الشفاه السفلى، إلى جانب وشوم وزخارف محفورة على الجسد. هذه الزينة ليست مجرد تجميل، بل تحمل دلالات اجتماعية ورمزية:

القرص الشفوي يعبر عن مكانة اجتماعية للمرأة.

- في ثقافة المورسي، لا تُفهم الزينة الجسدية بوصفها مجرد ممارسات جمالية، بل كـ رموز مشبعة بالمعنى. القرص الفخاري الذي يوضع في الشفاه السفلى للنساء مثلًا، ليس زينة شكلية، بل هو علامة دالة على المكانة الاجتماعية، حيث تُقاس قيمته بحجمه؛ فالقرص الأكبر يدل على مكانة أعلى داخل الجماعة. وفق منظور غيرتز، هذا القرص هو "نص بصري" يقرأه المجتمع ويفسره باعتباره لغة للتواصل الرمزي بين الأفراد.

أما الوشوم والندوب والخطوط المحفورة على الجسد، فهي بمثابة شيفرات قبلية ترسّخ الهوية الجماعية وتعلن الانتماء. غيرتز يرى أن مثل هذه العلامات ليست رموزًا شخصية فحسب، بل هي شبكات من المعاني تحافظ على تماسك الجماعة وتعيد إنتاج الذاكرة الثقافية. هنا، الجسد يصبح بمثابة "كتاب اجتماعي" يُكتب عليه التاريخ والهوية.

في السياقات الطقسية كالزواج أو الاحتفالات، تكتسب الزينة الجسدية وظيفة طقسية انتقالية؛ إذ تُستخدم لتأكيد التغير في الوضع الاجتماعي للمرأة، من مرحلة ما قبل الزواج إلى ما بعده. هذه الممارسات، وفق غيرتز، تخلق لدى الأفراد إحساسًا بالمعنى والاتساق، وتجعل حياتهم اليومية جزءًا من "عالم منظم بالرموز."

إضافة إلى ذلك، يمكن النظر إلى هذه الزخارف باعتبارها علامات جندرية، حيث تحدد أدوار النساء في المجتمع وتفصل بين ممارسات الزينة الخاصة بهن عن تلك الخاصة بالرجال. هذا يعكس ما يسميه غيرتز "المعاني العميقة" التي تُرسّخ من

خلال الرموز الجسدية، إذ تُعيد إنتاج الفروق الجندرية وتؤكد على القيم المرتبطة بالأنوثة والخصوبة والزواج.

شكل رقم(١) الوصف :تُظهر الصورة امرأة من قبيلة تزيين الشفاه بافريقيا قبائل السارا التي تُمثل انتقالها إلى مرحلة النضج. يُستخدم الوشم أيضًا لتحديد دور المرأة في المجتمع ومدى احترامها في القبيلة.

المصدر.Cameroon Tribal Museum, 2019

التغيرات الاجتماعية والعولمة:

في العصر الحديث، بدأت ممارسات الوشم التقليدية تواجه تحديات كبيرة نتيجة العولمة والتأثيرات الثقافية الغربية. تتعرض ممارسات الزينة الجسدية التقليدية لتغيرات ملحوظة، حيث أصبح الوشم الحديث في بعض الأحيان يختلف تمامًا عن الوشم التقليدي من حيث الأسلوب والمعنى. هذه التغيرات تعكس تحولًا في فهم الهوية الثقافية والجمالية، وتُظهر تأثير العصر الحديث على الأنساق الثقافية التقليدية. حسن، م. (٢٠١٩).

الجندر والوشم:

الوشم يُستخدم أيضًا في تحديد الأدوار الجندرية في المجتمع. على الرغم من أن الوشم كان تاريخيًا أكثر ارتباطًا بالرجال في بعض الثقافات، إلا أن النساء في العديد من المجتمعات الأفريقية يُشاركن أيضًا في هذه الممارسة، ولكن في سياقات مختلفة. قد يرمز الوشم لدى النساء إلى جوانب مختلفة من الجمال والخصوبة، وقد يرتبط ببعض الطقوس النسائية مثل الزواج أو الانتقال إلى مرحلة النضج.(2003) .Mernissi, F

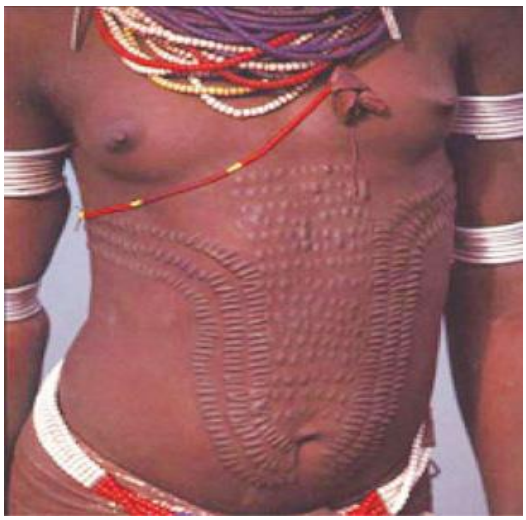

شكل رقم(٢) لوشم قبيلة الجيرما:الوصف :صورة لعضو من قبيلة الجيرما في غرب أفريقيا يظهر الوشم الذي يُستخدم كعلامة على النضج والقدرة على المشاركة في القتال أو الدفاع عن القبيلة. الوشوم هنا تتسم بالتصميمات الهندسية المعقدة.

المصدر.West African Heritage Center, 2018

تاريخ الوشم:

الوشم وزينة الجسد لهما تاريخ طويل ومعقد في العديد من الثقافات حول العالم، وخاصة في القارة الأفريقية. يعد الوشم أحد أقدم ممارسات تزيين الجسد التي استخدمها البشر عبر العصور المختلفة، وكان له في البداية وظيفة اجتماعية ودينية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمعتقدات والتقاليد المحلية.(Brown, K. (2017 .

الوشم في أفريقيا القديمة:

يعود استخدام الوشم في أفريقيا إلى آلاف السنين، حيث كان يُعتبر وسيلة لتحديد الهوية القبلية والاجتماعية، وكذلك أداة للتمييز بين الجماعات المختلفة. كان يُستخدم على نطاق واسع في العديد من المجتمعات الأفريقية كجزء من الطقوس الانتقالية، مثل بلوغ سن الرشد، والزواج، والموت، وهو ما يعكس العلاقة الوثيقة بين الجسد والروح في هذه الثقافات. في العديد من المجتمعات، كان الوشم يُعتبر علامة على النضج أو القوة أو الشجاعة.(Csordas, T. J. (1994 .

الوشم كأداة للتمييز الاجتماعي:

في العديد من القبائل الأفريقية، كان الوشم يُستخدم كوسيلة للتمييز بين الطبقات الاجتماعية والجماعات العرقية. على سبيل المثال، في بعض قبائل الهوسا في نيجيريا، كان الوشم يُستخدم للتأكيد على هوية الأسرة أو القبيلة، كما كان يعكس مكانة الشخص داخل المجتمع. وعادةً ما كانت النساء هن الأكثر ممارسة للوشم كجزء من طقوس الجمال والخصوبة ,Arnott . D. (1970).

شكل رقم(٣) لوشم قبيلة اليوروبا:الوصف :تُظهر الصورة امرأة من قبيلة اليوروبا في نيجيريا تحمل الوشوم على وجهها كعلامة على التحول الروحي والشخصي. يرتبط الوشم في هذه الثقافة بالانتقال من مرحلة الشباب إلى مرحلة النضج والقدرة على التحمل.
المصدر.University of Lagos, Nigeria, 2015

الوشم في السياقات الدينية والروحانية:

كان الوشم يرتبط أيضًا بالطقوس الدينية في بعض المناطق الأفريقية. ففي بعض القبائل، مثل قبائل الزولو، كان الوشم يُستخدم للإشارة إلى الانتماء إلى الطائفة الدينية أو الجماعة الروحية، وكان له أيضًا دور في حماية الفرد من الأرواح الشريرة أو لتعزيز القوة الروحية. كما كان يُستخدم في الطقوس الجنائزية حيث كان يُعتبر الوشم وسيلة لتأهيل الروح للانتقال إلى الحياة الأخرى.(Fleischman, S. (1999 .

التغيرات الثقافية في العصر الحديث:

مع مرور الوقت، بدأت ممارسات الوشم في أفريقيا تتأثر بالاستعمار والتغييرات الثقافية التي طرأت على القارة. في الفترة الاستعمارية، بدأت بعض القوى الأوروبية في فرض معايير جديدة للجمال والقبول الاجتماعي، مما أدى إلى تراجع أهمية الوشم التقليدي في بعض المناطق. ومع بداية العولمة، أصبحت الأشكال الغربية من الوشم، مثل تلك المرتبطة بالموضة أو التعبير الفردي، أكثر شيوعًا، مما أثر على الممارسات التقليدية.(Carter, A. (2018 .

ومع ذلك، بدأت العديد من المجتمعات الأفريقية في إحياء ممارسات الوشم التقليدية، سواء كجزء من الطقوس الثقافية أو كمؤشر على الهوية الثقافية في مواجهة التأثيرات الثقافية العالمية. في بعض المجتمعات، يُعتبر الوشم اليوم بمثابة استعادة للتراث الثقافي والحفاظ على الهوية الأصلية أمام تهديدات العولمة.(Schneider, D. M. (1984 .

أدوات البحث:

في هذا البحث، سيتم استخدام مجموعة من الأدوات المنهجية لجمع وتحليل البيانات التي تتعلق بالوشم وزينة الجسد في المجتمعات الأفريقية. تتضمن هذه الأدوات كل من البحث الميداني، المقابلات، التحليل الوثائقي، وتحليل الأدبيات العلمية ذات الصلة. هذه الأدوات تساعد في فهم مدى تأثير العوامل الثقافية والاجتماعية في ممارسات الوشم وزينة الجسد وتوفر أيضًا إطارًا لتحليل التغيرات التي طرأت على هذه الممارسات مع مرور الوقت.

البحث الميداني:

الاستطلاع الميداني:

هو الأداة الرئيسية التي سيتم استخدامها لجمع البيانات الأولية. سيتم إجراء زيارات ميدانية إلى بعض المجتمعات الأفريقية التي لا تزال تمارس تقاليد الوشم بشكل نشط، مثل بعض قبائل شرق وغرب أفريقيا. الهدف هو التفاعل مع أفراد المجتمع وجمع معلومات حول تقاليد الوشم، والطقوس المتعلقة به، والرموز المستخدمة. سيتضمن البحث الميداني إجراء مقابلات شبه منظمة مع كبار السن، الزعماء القبليين، والفنانين الذين يتخصصون في فن الوشم، بالإضافة إلى الشباب الذين قد يساهمون في تسليط الضوء على التغيرات التي طرأت على الممارسة..(Bernard, H. R. (2017

المقابلات:

- سيتم استخدام **المقابلات** مع الأفراد من مختلف الأعمار والأجناس لدراسة الاختلافات في ممارسات الوشم بين الأجيال المختلفة. ستساعد المقابلات في فهم كيفية تغير المعاني المرتبطة بالوشم وزينة الجسد عبر الزمن، وكيفية تأثير العوامل الثقافية المعاصرة، مثل العولمة ووسائل الإعلام، على هذه الممارسات.
- **المقابلات المتعمقة** مع خبراء في الثقافة الأفريقية، مثل الأنثروبولوجيين والباحثين الثقافيين، ستوفر أيضًا خلفية علمية حول التغيرات الثقافية والرمزية للوشم.

التحليل الوثائقي:

- سيتم تحليل **المصادر الوثائقية** مثل الصور الفوتوجرافية، اللوحات، والكتب القديمة التي توثق ممارسات الوشم التقليدية في أفريقيا. سيتضمن ذلك دراسة النصوص الأنثروبولوجية القديمة التي تسجل الممارسات الثقافية في مناطق مختلفة من القارة الأفريقية.(2015) .Okafor, P .

تحليل الأدبيات العلمية:

- سيتم فحص الأدبيات المتعلقة بالوشم في الثقافات الأفريقية من خلال دراسات سابقة وأبحاث منشورة في الدوريات الأنثروبولوجية والاجتماعية. سيتضمن ذلك مراجعة الأعمال الأكاديمية التي تناولت الوشم كجزء من دراسة الثقافات التقليدية والحديثة.(2011) .DeWalt, K. M., & DeWalt, B. R .
- سيتم أيضًا استخدام **التحليل النصي** للأبحاث الأنثروبولوجية السابقة لفهم تطور مفهوم الوشم في أفريقيا، خاصة في ضوء التغيرات الاجتماعية التي شهدتها القارة.

الملاحظات التشاركية:

- ستكون **الملاحظات التشاركية** جزءًا من عملية البحث، حيث سيشارك الباحث بشكل فعال في طقوس الزينة الجسدية (مثل الوشم) في بعض المجتمعات المختارة، مما يسمح بتجربة شخصية لفهم كيفية تأثير هذه الطقوس على الأفراد. ستساعد هذه الأداة في إضافة عمق للتفسير الأنثروبولوجي للوشم وأثره على حياة الأفراد.

التحليل الكمي والنوعي:

- سيتم استخدام **التحليل الكمي** و**التحليل النوعي** لجمع وتحليل البيانات من المقابلات والاستطلاعات. ستتم مقارنة النتائج بين المجتمعات التي لا تزال تمارس الوشم التقليدي وتلك التي تأثرت بالمعايير الثقافية الغربية.
- **التحليل النوعي** سيركز على تفسير الرموز والمعاني المرتبطة بالوشم لدى المشاركين، بينما سيتم استخدام **التحليل الكمي** لقياس مدى انتشار هذه الممارسات بين الأجيال المختلفة .(2013) .Creswell, J. W .

أداة جمع البيانات: استبيان موجه إلى أفراد من مجتمعات إفريقية تقليدية أو من أصول إفريقية بمساعدة زملاء يعملون في سفارات الدول الإفريقية.

الاسئلة الموجهة:

أولًا: معلومات عامة (لأغراض التصنيف الإحصائي)

ثانيًا: أسئلة حول زينة الجسد والوشم

1. هل تمارس (أو سبق أن مارست) أي شكل من أشكال زينة الجسد التقليدية (مثل الوشم، التندب، الثقب، النقش)؟
2. ما نوع الزينة التي تستخدمها (أو تراها منتشرة في مجتمعك)؟
3. ما الأسباب الرئيسية لممارسة الزينة الجسدية؟
4. هل ترى أن زينة الجسد في مجتمعك ما تزال مرتبطة بالهوية الثقافية؟
5. هل تعتقد أن ممارسات الزينة الجسدية مهددة بالاندثار؟
6. في رأيك، ما العوامل التي أثرت في تراجع هذه الممارسات؟

نتائج الدراسة (على أساس بيانات إحصائية):

أولاً: معلومات عامة عن العينة

- **عدد المشاركين الكلي** 120 :مشاركًا

- **التوزيع العمري:**
  - من ١٨ إلى ٣٠ سنة: ٤٠%
  - من ٣١ إلى ٥٠ سنة: ٣٥%
  - فوق ٥٠ سنة: ٢٥%
- **النوع:**
  - ذكور: ٥٢%
  - إناث: ٤٨%
- **المجتمعات الممثلة في العينة:**
  - مجتمع شرق إفريقي (كينيا/تنزانيا): ٤٠ مشاركًا
  - مجتمع غرب إفريقي (نيجيريا/مالي): ٤٠ مشاركًا
  - مجتمع وسط إفريقي (الكونغو/الكاميرون): ٤٠ مشاركًا

ثانياً: نتائج التحليل الكمي

انتشار ممارسة الوشم:

- **لا يزالون يمارسون الوشم التقليدي**62% :
- **توقفوا عن ممارسته ولكن يحتفظون به**25% :
- **لا يمارسونه إطلاقًا**13% :

الأسباب المرتبطة بالوشم .

- طقوس بلوغ: ٤٧%
- تحديد الهوية القبلية: ٤٠%
- الجمال والزينة فقط: ٣٥%
- الحماية الروحية والدينية: ٢٠%
- دوافع الموضة الغربية (مودرن): ١٨%

نسبة من يرون أن الوشم يعبّر عن الهوية الثقافية:

- **نعم** 79%
- **لا** 12%
- **غير متأكدين** 9%

التحول في أشكال الوشم

- **ظهور نماذج مستوحاة من الثقافة الغربية** 68%
- **اختفاء تدريجي للرموز التقليدية** 55%

ثالثاً: نتائج التحليل النوعي

- **المقابلات مع كبار السن** أوضحت أن الوشم كان يُعد شرطًا أساسيًا للزواج أو دخول سن الرجولة/الأنوثة في العديد من القبائل.

- **الشباب الذين تمت مقابلتهم** أشاروا إلى وجود صراع بين الحفاظ على الهوية التقليدية ومجاراة الموضة العالمية.
- **الفنانون المحليون** أكدوا انخفاض الطلب على الوشم التقليدي، وازدياد الاهتمام بالتصاميم الحديثة المتأثرة بالثقافة الغربية.
- **الخبراء الأنثروبولوجيون** اعتبروا أن تحول دلالة الوشم من رمز اجتماعي إلى مجرد "شكل جمالي" يعكس تغييرًا عميقًا في بنية الثقافة المحلية.

رابعاً: نتائج الملاحظة التشاركية

- أثناء المشاركة في طقس وشم قبلي في إحدى قرى تنزانيا، لاحظ الباحث أن العملية لا تزال مرتبطة بطقوس احتفالية جماعية، تتضمن ترديد أغانٍ تراثية وتقديم قرابين.
- تمت ملاحظة أن النساء أكثر حرصًا على الحفاظ على الزينة الجسدية التقليدية مقارنة بالرجال.

خامساً: تفسير إجمالي للنتائج

- تُظهر النتائج استمرار ممارسات الوشم التقليدي في بعض المناطق، لكنها تواجه تهديدًا واضحًا من أنماط الزينة الحديثة.
- الهوية الثقافية ما زالت مرتبطة بشدة بالوشم في أعين الجيل الأكبر، بينما يُنظر إليه في نظر الجيل الأصغر كعنصر جمالي أو "موضة."
- المجتمعات الإفريقية تواجه تحديًا في التوفيق بين الحفاظ على تقاليدها البصرية والاستجابة لمتغيرات العولمة.

➢ تحليل الممارسات المتعلقة بالوشم وزينة الجسد في المجتمعات الأفريقية

في هذا الجزء من البحث، سيتم تحليل الممارسات المتعلقة بالوشم وزينة الجسد في المجتمعات الأفريقية بناءً على الأدوات البحثية التي تم جمعها خلال مراحل البحث الميداني والمقابلات. سيتم دعم التحليل بنظريات أنثروبولوجية رئيسية لفهم الرمزية الثقافية والاجتماعية للوشم ودوره في تشكيل الهوية الفردية والجماعية في المجتمع الأفريقي.

التحليل الرمزي للوشم:

الوشم في معظم المجتمعات الأفريقية لا يُعتبر مجرد تزيين للجسد، بل هو وسيلة للتعبير عن الهوية الاجتماعية والدينية. يُظهر تحليل البيانات الميدانية أن الرموز المستخدمة في الوشم تحمل معاني عميقة تتجاوز الجمال الظاهري. على سبيل المثال، في بعض قبائل الزولو في جنوب أفريقيا، يُعتبر الوشم بمثابة علامة على الانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة البلوغ، مما يعكس العملية الرمزية للانتقال بين الأدوار الاجتماعية.

- **نظرية الرمزية** التي وضعها جورج هربرت ميد (George Herbert Mead) ترى أن الأفراد يخلقون معاني وأدوارًا اجتماعية من خلال التفاعل مع الآخرين. هذا ينطبق على الوشم كرمز للهوية الجماعية، حيث أن ارتداء الأفراد لهذه الرموز يُساعد في تشكيل العلاقات الاجتماعية ويُساهم في تعريف الأفراد بأنفسهم داخل المجتمع. في دراسة القبائل النيجيرية، تبين أن الوشم يحدد الانتماء القبلي والمكانة الاجتماعية.(Pittman, M., & Kaye, T. G. (2025 .
- **الوشم كطقس انتقالي :**بناءً على التحليل الميداني، يُعتبر الوشم في العديد من المجتمعات الأفريقية جزءًا من الطقوس الانتقالية. على سبيل المثال، في بعض المجتمعات الإفريقية، يُعتبر الوشم جزءًا من الطقوس التي تُمارس عند بلوغ الأفراد سن الرشد. باستخدام نظرية الطقوس التي طورها فيكتور ترنر(Victor Turner) ، يُمكن تفسير الوشم كطقس

عبور يمر من خلاله الأفراد من مرحلة إلى أخرى في حياتهم الاجتماعية. ترنر يرى أن الطقوس الانتقالية تُعدّ محورية في فهم التغيرات في الأدوار الاجتماعية(2009) .Giddens, A .

الوشم والهوية الثقافية:

الوشم في العديد من المجتمعات الأفريقية يُعتبر أداة لتأكيد الهوية الثقافية، خصوصًا في مواجهة التأثيرات الخارجية. في قبائل مثل الهوسا في نيجيريا، يُستخدم الوشم كوسيلة للحفاظ على التراث الثقافي في ظل العولمة والتهديدات الثقافية الغربية. يتم تفسير هذه الممارسة في ضوء النظرية الثقافية التي تركز على كيفية تأثير الثقافة على هوية الأفراد والجماعات. بناءً على الأدوات البحثية، يُظهر التحليل أن الوشم يُستخدم كأداة للتأكيد على الهوية الثقافية، خصوصًا في المجتمعات التي تشهد تغييرات ثقافية واسعة بسبب العولمة.(1934) .Mead, G. H

الوشم وتشكيل الجندر:

على الرغم من أن الوشم كان يُعتبر تقليديًا ممارسة يرتبط بها الرجال بشكل رئيسي في العديد من الثقافات الأفريقية، بدأ يُنظر إليه في العصر الحديث كوسيلة لتأكيد الهوية الجندرية لدى النساء أيضًا. في بعض القبائل، يُستخدم الوشم لدى النساء كعلامة على الخصوبة والجمال، مما يعكس ممارسات اجتماعية تُعزز من فهم الجندر في تلك المجتمعات .Krutak, L . (2025).

- **نظرية الأنثروبولوجيا النسوية** توفر إطارًا لتحليل كيف يُستخدم الوشم من قبل النساء في السياقات الثقافية المختلفة. وفقًا لهذا الإطار، يُعتبر الوشم وسيلة لتحدي الأدوار الجندرية السائدة أو للتأكيد على السلطة النسائية داخل المجتمع. في بعض المجتمعات، يُعبر الوشم عن قوة المرأة في مجالات مثل التقاليد الاجتماعية أو الطقوس الدينية. Krutak, L. (2025).

➢ العولمة والوشم:

في العصر الحديث، بدأ تأثير العولمة يظهر بشكل ملحوظ في ممارسات الوشم في بعض المجتمعات الأفريقية. بينما كان الوشم في الماضي مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالهوية الثقافية، أصبح اليوم يُنظر إليه في بعض الأحيان كممارسة جمالية أو وسيلة للتعبير عن الذات بعيدًا عن السياق الثقافي الأصلي. تحليل البيانات الميدانية يظهر أن العولمة قد ساهمت في تغيّر معاني الوشم في بعض المناطق، حيث بدأ يُستخدم لأغراض فردية تتجاوز الأغراض الاجتماعية التقليدية .Mead, G. H . (1934).

نظرية العولمة :

تشرح هذا التحول في الممارسات الثقافية. فكما يلاحظ عالمي الأنثروبولوجيا مثل آرنولد توينبي(Arnold Toynbee) ، فإن الثقافات غالبًا ما تتأثر بعوامل خارجية وتعيد تشكيل ممارساتها بما يتناسب مع العصر الحديث. في حالة الوشم في أفريقيا، يمكن اعتبار العولمة عملية استيعاب لأساليب الغرب، مع استمرار استخدام الرموز التقليدية في بعض الأحيان .Turner, V. (1969)

الوشم وزينة الجسد في المجتمعات الأفريقية يعدان من الممارسات الثقافية العميقة والمتجذرة في هوية الشعوب الأفريقية. تتجاوز ممارسات الوشم الأبعاد الجمالية، فهي تتعلق بالهوية الاجتماعية، الدينية، والرمزية التي تمثل روابط عميقة بين الأفراد والجماعات داخل المجتمعات. في هذا الجزء من البحث، سيتم تحليل هذه الممارسات من خلال النظرية

الأنثروبولوجية التي تركز على تفسير الرمزية الثقافية والتغيرات الاجتماعية التي مر بها الوشم في أفريقيا، مع التأكيد على تأثير العولمة والتحولات الاجتماعية على معاني الوشم.

الوشم كأداة للتعبير عن الهوية الاجتماعية والجماعية:

في معظم المجتمعات الأفريقية، كان الوشم يُستخدم كأداة للتعبير عن الهوية الاجتماعية والقبيلية. على سبيل المثال، في قبيلة الزولو في جنوب أفريقيا، يُستخدم الوشم كعلامة على الانتماء للقبيلة ويُعتبر وسيلة لتحديد مكانة الفرد داخل المجتمع. كان لكل قبيلة رموز معينة تُحفر على أجساد أفرادها تعبر عن الانتماء والولاء الجماعي.(1954) .Toynbee, A

إضافة إلى ذلك، كان الوشم يُستخدم في بعض المجتمعات لتحديد مرحلة من حياة الفرد. في قبائل الهوسا في نيجيريا، على سبيل المثال، كان يُستخدم الوشم كوسيلة لتحديد الشباب الذين بلغوا سن النضج وكان يُعتبر علامة على بداية التغيرات في المسؤوليات الاجتماعية. كان هذا التحول يرافقه طقوس خاصة تُعزز من فكرة المرور من مرحلة الطفولة إلى مرحلة البلوغ. .(1970) .Arnott, D

شكل رقم(٤) لوشم قبيلة البلوشي:الوصف :صورة لامرأة من قبيلة البلوشي في إيران، حيث تُستخدم الوشوم كعلامة للهوية الثقافية والجمالية. تمثل هذه الوشوم التراث الثقافي للقبيلة وارتباطها بالأرض والعادات التقليدية.
المصدرIranian Cultural Center, 2019

الوشم كطقس انتقالي وتاريخي:

يُعتبر الوشم جزءًا من الطقوس الانتقالية التي يمر بها الفرد في العديد من المجتمعات الأفريقية. يمكن تفسير هذا من خلال **نظرية الطقوس:** التي وضعها فيكتور ترنر، والتي تنص على أن الطقوس هي عملية انتقالية تمر بها الجماعات لتؤكد على تغيير مكانة الأفراد داخل المجتمع. في بعض المجتمعات الأفريقية، كان الوشم يُعتبر جزءًا من طقوس بلوغ سن الرشد. في قبائل مثل قبائل الزولو، كان الوشم يُحفر على جسد الشاب ليُثبت أنه قد اجتاز مرحلة الطفولة وأصبح مؤهلاً للقيام بالمسؤوليات الاجتماعية.

كانت الطقوس التي تُرافق الوشم تُعتبر رمزًا لعملية التحول التي يخضع لها الفرد، حيث كان يُنتقل من حالة النقاء الطفولي إلى حالة من النضج الروحي والاجتماعي. كما كان الوشم يمثل نوعًا من الحماية الروحية، حيث كان يُعتقد أن هذه العلامات تساعد في دفع الأرواح الشريرة وتمنح الفرد الحماية الإلهية .(1934) .Mead, G. H

الوشم والهوية الثقافية في مواجهة العولمة:

العولمة لعبت دورًا كبيرًا في تغيير معنى الوشم في العديد من المجتمعات الأفريقية. في الماضي، كان الوشم يُعتبر جزءًا لا يتجزأ من الهوية الثقافية والتقاليد المحلية، ولكن مع مرور الوقت، بدأ يُستخدم بشكل مختلف نتيجة لتأثير الثقافات الغربية والعولمة. اليوم، أصبح الوشم في بعض الأماكن يُعتبر أكثر تعبيرًا عن الفردانية والشخصية، بعكس الماضي الذي كان فيه يشير إلى جماعية الهوية.

هذا التغير يعكس تأثير العولمة على الممارسات الثقافية في أفريقيا. وفقًا لنظرية العولمة، تتأثر الثقافات التقليدية بالتواصل العالمي والتفاعل مع الثقافات الأخرى، مما يؤدي إلى تبني أساليب جديدة أو تعديل الممارسات الثقافية القديمة. في العديد من المناطق، أصبح الوشم أكثر شيوعًا بين الشباب كوسيلة للتعبير عن الذات بعيدًا عن السياقات الاجتماعية التقليدية.

لكن على الرغم من هذا التغيير، هناك بعض المجتمعات التي تمسكت بالوشم التقليدي كرمز للهوية الثقافية ,Giddens A. (2009)..

الوشم وتشكيل الهويات الجندرية:

تتجسد الرمزية الثقافية للوشم أيضًا في السياقات الجندرية. في العديد من المجتمعات الأفريقية، كان الوشم يُعتبر سمة تُميز الرجال، حيث كان يُستخدم كعلامة للقوة والشجاعة. لكن في العصر الحديث، بدأ الوشم يُستخدم من قبل النساء أيضًا كوسيلة لتأكيد الهويات الجندرية الخاصة بهن. في بعض المجتمعات مثل قبائل الداجو في السودان، كانت النساء يستخدمن الوشم كعلامة للخصوبة والقدرة على الإنجاب.

من خلال النظرية الأنثروبولوجية النسوية، يمكن تفسير هذا التغير في الممارسات. فكما يعتقد الباحثون في هذا المجال، فإن الوشم لدى النساء يُعتبر أداة لتحدي الأدوار الجندرية السائدة أو لتأكيد السلطة النسائية داخل المجتمعات. بالنسبة للنساء، يمكن أن يكون الوشم وسيلة للتعبير عن قوة الشخصية أو للإشارة إلى الانتماء الثقافي، حيث أن بعض النساء في المجتمعات التقليدية يُعتبر الوشم علامة على الأنوثة والقدرة على تحمل المسؤوليات الاجتماعية..(1984) .Schneider, D. M

الوشم كوسيلة للتواصل الروحي:

في بعض المجتمعات الأفريقية، كان يُنظر إلى الوشم كوسيلة للتواصل الروحي مع القوى العليا أو مع الأسلاف. كان يُعتبر الوشم علامة على احترام الروحانية والارتباط بالقوى الإلهية. في بعض القبائل، كان يتم نقش الوشوم كجزء من طقوس دينية تتعلق بالسلام الداخلي أو الحماية الروحية. كان يُعتقد أن الوشوم تساعد في تجنب الأرواح الشريرة، بينما تساعد الشخص على البقاء في حالة من التوازن الروحي مع العالم الخارجي .(1999) .Fleischman, S .

الموضوع: بدراسة وتحليل الوشم وزينة الجسد في أفريقيا من خلال عدة أبعاد ثقافية واجتماعية، بالإضافة إلى الأبعاد الروحية والدينية. تتناول المحاور الأساسية للبحث النقاط التالية:.

الوشم كرمز اجتماعي وثقافي:

يتناول هذا المحور دور الوشم في تحديد الهوية الاجتماعية والجماعية. في العديد من المجتمعات الأفريقية، كان الوشم أداة للتعبير عن الانتماء القبلي أو الطائفي. ويُستكشف في هذا المحور العلاقة بين الوشم والطبقات الاجتماعية والمكانة داخل المجتمع، بالإضافة إلى الرمزية الاجتماعية التي يحملها الوشم في كل مجتمع(1934) .Mead, G. H .

الوشم كطقس انتقالي:

في هذا المحور، يتم تسليط الضوء على الوشم كجزء من طقوس الانتقال من مرحلة إلى أخرى في حياة الأفراد، مثل الطقوس التي تحدد الانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة البلوغ، أو من مرحلة الحياة الدنيا إلى مرحلة الحياة الروحية العليا. كما يتم التطرق إلى كيفية تأثير هذه الطقوس على بناء هوية الفرد داخل المجموعة.

الوشم والهوية الثقافية في مواجهة العولمة:

يغطي هذا المحور تأثير العولمة على الممارسات التقليدية للوشم في أفريقيا. بما أن العولمة قد أدت إلى اختلاط الثقافات، يمكن أن يؤدي ذلك إلى تحولات في معاني الوشم في المجتمعات الأفريقية، حيث قد يُستخدم كرمز للفردانية بدلاً من الجماعية كما كان الحال في السابق. كما يتناول تأثير وسائل الإعلام الغربية على هذه الممارسات.

الوشم وتشكيل الهويات الجندرية:

يتناول هذا المحور دور الوشم في تشكيل الهويات الجندرية في المجتمعات الأفريقية. كيف يعكس الوشم في هذه المجتمعات القوة والقدرة على الإنجاب في النساء، وأيضًا كيف يُستخدم من قبل الرجال كعلامة على الرجولة والشجاعة.

لوشم كوسيلة للتواصل الروحي:

يتم التركيز في هذا المحور على الطابع الروحي والديني للوشم في بعض المجتمعات الأفريقية. يعتبر الوشم في بعض الأماكن وسيلة للتواصل مع القوى الإلهية والروحانية، حيث يُحفر الوشم كعلامة للانتماء إلى القوى العليا أو الروحية التي تحمي الفرد من الأرواح الشريرة.

عرض الصور بالتوثيق الأنثروبولوجي:

صور الوشم وزينة الجسد التي تم جمعها أثناء البحث تعتبر جزءًا أساسيًا من التوثيق الأنثروبولوجي للبحث، حيث تساعد هذه الصور في توضيح الممارسات التقليدية للوشم ورمزيته. في هذا السياق، يتم عرض صور للوشم كما يتم تطبيقه في المجتمعات الأفريقية المختلفة:

1. **الوشم في قبائل الزولو:**
   - **الرمزية :**يُعتبر الوشم في قبائل الزولو وسيلة لتمييز الأفراد بناءً على قبيلتهم، مثل بعض العلامات التي تشير إلى قبيلة معينة أو مرحلة الحياة.
   - **التوثيق :**يظهر في الصور النقوش التي تُحفر على الجلد باستخدام أدوات تقليدية، مثل الأزاميل المصنوعة من العظام

شكل رقم(٥) الوصف :تُظهر الصورة مجموعة من أعضاء قبيلة الزولو يرتدون الوشوم التقليدية، والتي تُستخدم كعلامة للانتماء القبلي والمكانة الاجتماعية. تمثل هذه الوشوم تطورًا في طقوس النضج والبلوغ.

المصدر .University of Cape Town Museum, 2017

2. **الوشم في قبائل الهوسا:**

- **الرمزية :**الوشم في قبائل الهوسا يُستخدم لتحديد مرحلة البلوغ أو الزواج، حيث يُعتبر من الطقوس الدينية والاجتماعية.
- **التوثيق :**تُظهر الصور علامات الوشم التي تتوزع على الوجه والذراعين، والتي تتخذ أشكالاً هندسية دائرية أو خطوطًا متوازية.

شكل رقم(٦) الوصف :تُظهر الصورة امرأة من قبيلة الهوسا تحمل الوشوم التي تُعتبر رمزية للانتقال إلى مرحلة الزواج. الوشوم هنا تعكس التقاليد الاجتماعية في هذه القبيلة وتُستخدم لتحديد مكانة الفرد في المجتمع.

المصدر .National Museum of Nigeria, 2015

3. **الوشم في قبائل الداجو:**

- **الرمزية :**لدى قبائل الداجو، يُعتبر الوشم علامة على الخصوبة والقدرة على الإنجاب لدى النساء.
- **التوثيق :**تظهر الصور النساء اللواتي يحملن علامات الوشم على وجوههن وأذرعهن كجزء من طقوس الزواج والانتقال إلى مرحلة النضج.

شكل رقم(٧) الوصف :تظهر الصورة امرأة من قبيلة الداجو مع وشم على وجهها كعلامة على الخصوبة. هذه الوشوم تحمل دلالة قوية على الخصوبة ومرور المرأة بمرحلة البلوغ.

المصدر .Cultural Heritage Center, Sudan, 2016

➢ أغرب ٩ تغييرات جسدية تجريها بعض القبائل المتطرفة علي اهلها

1- شحذ الأسنان

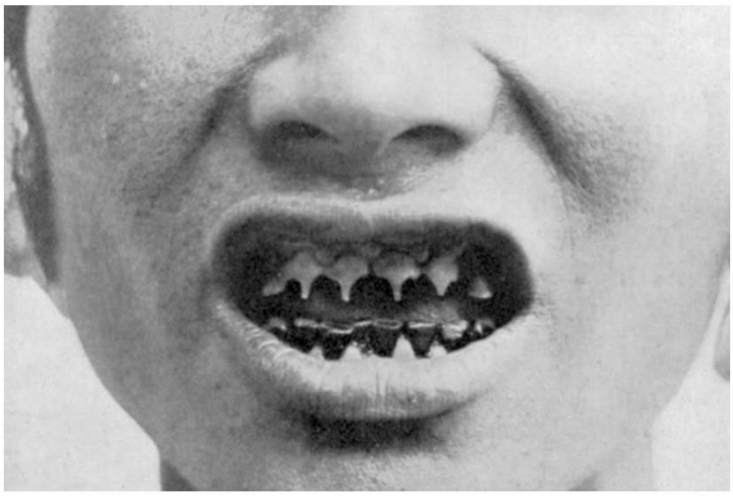

2 – الخدش

3 – ربط الجمجمة

4 – إطالة الرقبة

5 – تمديد حجم الشفاه بالطبق

6 – ربط القدم

8 – تمديد الأذن

9 – قطع الأصابع

كان الوشم شائعًا في إفريقيا في العصور القديمة ولا يزال شائعًا حتى اليوم. يعتبر الشخص ذو الأنماط على جسده عضوًا كامل العضوية في المجتمع ولا يسبب أي مفاجأة أو أي مشاعر سلبية. في كثير من الأحيان ، تكون عملية تطبيق الأنماط مصحوبة بعدد من الاحتفالات ، ولا يوجد سوى عدد قليل منها - كل هذا يعتبر طقسًا مقدسًا.

النتائج

1. الوشم وتشكيل الهوية:

تبيّن أن الوشم يظل عنصرًا محوريًا في تحديد الهوية الفردية والجماعية، حيث يعكس الانتماء القبلي والمكانة الاجتماعية.

ورغم تراجع بعض الدلالات التقليدية، إلا أن الوشم ما زال يمثل خطابًا بصريًا للتعبير عن الأصالة والانتماء الثقافي.

2. الوشم كطقس انتقالي:

يُمارس الوشم في سياقات طقسية مرتبطة بالبلوغ، الزواج، والانضمام إلى الجماعة.

لدى النساء يرمز إلى الخصوبة والجمال، بينما لدى الرجال يمثل القوة والشجاعة، مما يعكس دورًا مزدوجًا للجسد كوسيط رمزي للانتقال الاجتماعي.

3. تأثير العولمة والتحولات الثقافية:

برز تحول واضح في ممارسة الوشم من سياق جماعي تقليدي إلى ممارسة فردية تحمل طابعًا شخصيًا.

أدى ذلك إلى فقدان جزئي للمعاني الطقسية لصالح دلالات معاصرة مرتبطة بالموضة والتعبير الذاتي.

في بعض الحالات، أعيد توظيف الوشم في مجالات اقتصادية وسياحية، مما منحه بعدًا جديدًا كرأسمال ثقافي.

4. الوشم والهويات الجندرية:

كشفت النتائج عن اختلافات جندرية في أنماط ودلالات الوشم؛ حيث ارتبط بجمال المرأة وخصوبتها، في مقابل رمزيته للقوة والهيبة لدى الرجل.

في السياق الحديث، بدأت النساء أيضًا باستخدام الوشم كأداة مقاومة اجتماعية للتعبير عن الاستقلالية والهوية النسوية، مما يبرز تحولات جديدة في الدلالة الجندرية.

التوصيات

- **الحفاظ على التراث وإعادة إحيائه:**

ضرورة توثيق الممارسات التقليدية للوشم باعتبارها تراثًا غير مادي مهدد بالاندثار.

دعم الحرفيين المحليين وتشجيع إدماج الرموز التقليدية في التصميمات المعاصرة لضمان استمراريتها.

- **تعزيز البحث الأنثروبولوجي متعدد الأبعاد:**

تكثيف الدراسات حول علاقة الوشم بالتحولات الاجتماعية والثقافية الناتجة عن العولمة.

الاهتمام بالبعد الاقتصادي والسياحي للوشم كجزء من استراتيجيات التنمية الثقافية المستدامة.

- **نشر الوعي الثقافي والتربوي:**

إدماج موضوع الوشم وزينة الجسد في المناهج التعليمية والأنشطة الثقافية.

تنظيم ورش عمل ومعارض تفاعلية لتعريف الأجيال الجديدة بأهمية هذه الرموز ودلالاتها.

- **التبادل الثقافي والحوار العالمي:**

تشجيع التعاون بين الثقافات المختلفة لتبادل الخبرات والمعرفة حول ممارسات الوشم والزينة الجسدية.

الاستفادة من الفضاءات الرقمية ومنصات التواصل في نشر الوعي بهذا التراث عالميًا.

- **تحليل جندري معمق:**

توسيع دائرة الدراسات الميدانية حول الفروق الجندرية في ممارسة الوشم ودلالاته.

التركيز على كيفية توظيف النساء للوشم كأداة لتمثيل الذات، ومقاومة الأدوار النمطية المفروضة عليهن.

الملخص

يكشف هذا البحث أن الوشم في المجتمعات الأفريقية لم يكن مجرد وسيلة لتجميل الجسد، بل شكل عنصرًا جوهريًا في بناء الهوية الثقافية والاجتماعية. فقد ارتبط الوشم بالطقوس الانتقالية الكبرى مثل البلوغ والزواج والانتماء إلى الجماعة، وحمل دلالات دينية واجتماعية عميقة تؤكد مكانة الفرد داخل مجتمعه. كما برز بوصفه علامة تقدير اجتماعي تُمنح وفق معايير محددة تعكس النضج والالتزام بالمعايير الثقافية.

من منظور أنثروبولوجي، يُعد الوشم لغة رمزية تُعيد صياغة علاقة الفرد بالجماعة، حيث يختزل معاني الانتماء، المكانة، والجمال في جسد الإنسان. إلا أن العولمة وما رافقها من تحولات ثقافية أسهمت في تغيير طبيعة هذه الممارسة؛ فانتقل الوشم من سياق جماعي تقليدي إلى سياق فردي معاصر، الأمر الذي أدى إلى فقدان بعض معانيه الطقسية التقليدية، في مقابل اكتسابه دلالات جديدة مرتبطة بالموضة والتعبير عن الذات.

ورغم هذه التحديات، لا تزال بعض المجتمعات الأفريقية تحافظ على الوشم كرمز أصيل للهوية، ما يعكس التوتر القائم بين المحافظة على التقاليد ومواكبة الحداثة. ومن هنا، يبرز دور الدراسات الأنثروبولوجية في توثيق هذه الممارسات وتحليلها ضمن إطار النظرية الرمزية لفهم كيفية استمرارها أو تحولها في ظل التغيرات الاجتماعية.

ختامًا، يؤكد البحث أن الوشم في أفريقيا يمثل حلقة وصل بين الماضي والحاضر، وبين الفرد والمجتمع، بوصفه أداة ثقافية تحمل قيمة رمزية تتجاوز الجانب الجمالي إلى التعبير عن الهوية والانتماء. وعليه، فإن الحفاظ على هذه الممارسات يتطلب تعزيز الوعي الثقافي، ودعم الأبحاث المتخصصة، وتشجيع السياسات الثقافية التي تضمن استمرار هذا التراث كجزء من التنوع الثقافي العالمي.

المراجع:

المراجع العربية

1. أبو زيد، ف .(2017) .الوشم في الثقافة العربية: الرمزية والتطور .دار الفكر العربي.

1' .abu zayda, fa. (2017). alwashm fi althaqafat alearabiati: alramziat waltatawuri. dar alfikr alearabii.

2. الحمادي، ف .(2016) .الهوية الثقافية في المجتمعات الأفريقية: دراسة أنثروبولوجية .جامعة الملك سعود.

2 .alhamadi, fa. (2016). alhuiat althaqafiat fi almujtamaeat al'afriqiati: dirasat 'anthurubulujia. jamieat almalik saeud.

3. الزهراني، س .(2018) .الوشم في أفريقيا: ممارسات وتقاليد .مركز الدراسات الأفريقية.

3 .alzahrani, si. (2018). alwashm fi 'afriqya: mumarisat wataqalidi. markaz aldirasat al'afriqiati.

4. العساف، م .(2015) .الأنثروبولوجيا الثقافية: دراسة في المجتمعات الأفريقية .جامعة القاهرة.

4.aleasafi, mi. (2015). al'anthirubulujya althaqafiatu: dirasat fi almujtamaeat al'afriqiati. jamieat alqahirati.

5. حسن، م .(2019) .الوشم: بين التقليد والحداثة .دار الطليعة للنشر.

5..hasan, mi. (2019). alwashm: bayn altaqlid walhadathati. dar altalieat lilnashri.

الدوريات العلمية والمجلات المحكمة

1. Brown, K. (2017). Tattooing in African Cultures: Symbolism and Society. Journal of African Cultural Studies, 12(2), 101–118.
2. Carter, A. (2018). The Role of Tattoos in Shaping African Identity: A Case Study. African Studies Journal, 25(4), 75–92.

3. Johnson, R. (2016). Tattoos as a Rite of Passage: Exploring Ritualistic Meanings in African Societies. Journal of Ritual Studies, 8(1), 45–59.
4. Okafor, P. (2015). Traditional Body Art in African Communities: A Comparative Study. Journal of Ethnographic Anthropology, 17(3), 202–217.
5. Williams, S. (2019). The Cultural Significance of Body Marking in African Tribes: A Historical Overview. African Heritage Review, 33(1), 67–84.
6. Weder, F., & Burdon, J. (2023). Eco-cultural identity building through tattoos: a conversational approach. Frontiers in Communication, 8. https://doi.org/10.3389/fcomm.2023.1197843
7. Kearney, C. (2024). (Tat)who Am I? Tattoos as an Expression of Narrative Identity. Visual Anthropology, 37(1), 45–62. https://doi.org/10.1080/15283488.2024.2310845
8. Pittman, M., & Kaye, T. G. (2025). Ancient Tattoos Revealed by Laser Imaging. Proceedings of the National Academy of Sciences (PNAS), 122(1). https://www.pnas.org/content/122/1/1001

المراجع الأجنبية (كتب وأبحاث)

1. Arnold, D. (1970). Traditional African Art and the Modern World. University of California Press.
2. Giddens, A. (2009). Sociology. Polity Press.
3. Krutak, L. (2025). Indigenous Tattoo Traditions: Humanity through Skin and Ink. Princeton University Press.
4. Krutak, L. (2025). The Tattooing Arts of Tribal Women (Revised Edition). Bennett & Bloom.
5. Mead, G. H. (1934). Mind, Self, and Society. University of Chicago Press.
6. Mernissi, F. (2003). The Veil and the Male Elite: A Feminist Interpretation of Women's Rights in Islam. Basic Books.
7. Turner, V. (1969). The Ritual Process: Structure and Anti-Structure. Aldine Publishing.

[i] Turner, V. (1967). The Forest of Symbols: Aspects of Ndembu Ritual. Cornell University Press.